عنوان المقال: الدرس اللغوي عند المغاربة (الدرر النحوية على منظومة الشبراوية لعبد القادر المجاوي –أنموذجا–)

ملخص المقال:

لا يختلف اثنان على أن النحو هو عماد اللغة العربية، وكل دراسة تضاف في علم النحو إنما تضاف إلى خدمة اللغة، غير أنه يحز في النفس أن نجد جل الدراسات الموجودة تتحدث عن دور المشارقة وإسهاماتهم وبالمقارنة لا نكاد نقف إلا على القليل القليل مما يتناول الدرس المغاربي، فحدانا هذا إلى تسليط الضوء على دراسة الدرس اللغوي عند المغاربة من خلال شرح الشيخ المجاوي لمنظومة الشبراوي (الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية)، لأنه وإن كان نصيبنا الفرض في إحياء الدرس النحوي فنصيبنا في الدرس النحوي المغاربي هو الفرض والتعصيب؛ فقدمنا هذا المقال الموسوم بـ: **الدرس اللغوي عند المغاربة (الدرر النحوية على منظومة الشبراوية لعبد القادر مجاوي) –أنموذجا–.**

Abstract:

No one disagrees that syntax is the Arabic language pillar. In fact, every study added to it, is actually added to serve the language. However, it is hurtful that most of the existent studies highlight the role of Easterners and their contributions, while, on the other hand, we barely find very few share of the Maghrebian contribution. This led us to spot the light on the study of the Maghrebian's lingual course through Sheikh Al-Majawi's demonstration of Mandhumat Al-Shabrawi (Ad-drar An-nahwiya Ala Al-Mandhuma Al-Shabrawiya). Even if our share of reviving the syntax course is a quota, then it is both quota and residual to revive the Maghrebian syntax course. Therefore, we present this essay under the title of: **The Maghrebian Lingual Course, Abd El Quader Majawi's "Ad-durar An-nahwiya Ala Mandhumat Al-Shabrawiya" as a sample.**

عناصر المقال:

الدرس اللغوي عند المغاربة (الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية)

–أنموذجا–

توطئة

1- ترجمة الشارح الشيخ عبد القادر المجاوي

2- المنهج: منهج عبد القادر المجاوي

2-1- المنهج الفني

2-2- المنهج العلمي

2-2-1- المصطلح

2-2-2- الاستشهاد

2-2-3- التمثيل

2-2-4- التعليل

2-2-5- عرض الأقوال وشرحها

3- أهم النتائج المستخلصة

توطئة:

اهتم الجزائريون باللغة العربية اهتمامهم بالقرآن، ولا أدل من ذلك احتفاظهم وحفاظهم على اللغة العربية رغم ما سبقها وما لحقها من لغات. ويتجلى هذا الاهتمام في إسهام علمائهم بنظم متون اللغة وشرحها وهذا ما سنبسطه –بعون الله– من خلال شرح الشيخ **عبد الله المجاوي (1264هـ/ 1232 هـ)** الموسوم بـ: **الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية** مبتدئين بإبراز مكانته العلمية، ومن ثم الوقوف على تعليمية الدرس اللغوي عنده باستعمال (الشرح المبسط، النظم على النظم، الإعراب المبين، الشواهد الموضحة، ...الخ). وفي الأخير نركز على أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

1- **ترجمة المؤلف:** الشيخ المجاوي صاحب كتاب: " **الدُّرَرُ النَّحْوِيَّةُ عَلَى المَنْظُومَةِ الشَّبْرَاوِيَّةِ** "

الشيخ المجاوي: هو عبد القادر بن عبد الله بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن يس أبي حناش بن خمليش بن علي بن محمّد بن عبد الجليل المجّاوي[1] نسبة إلى مجّاوة أو مشّاوة إحدى قبائل شمال المغرب الأقصى.

أجمع الذين ترجموا للشيخ على أنّ ولادته كانت سنة 1264هـ/1848م، بينما اختلفوا في تحديد مسقط رأسه فريقين؛ فريقاً يرى أنه ولد بتلمسان وأمّا الفريق الثاني فيرى أنّه ولد بطنجة في المغرب.

فأبوه هو الشيخ الأعلم عبد الله بن محمد، فقيه تلمسان الكبير، وقاضيها لمدّة ربع قرن من الزمن، ورائد العلماء المدرّسين في عصره، ولد بتلمسان سنة1208هـ/1794م[2]، وحفظ القرآن الكريم على والده، وعنه وعن أخيه العلاّمة الحاج أحمد أخذ مبادئ العلوم، ولماّ كان من ذوي الهمم العالية، لم يكتف بما حصّله من علم ومعارف بتلمسان، شدّ الرحال يبغي الاستزادة منها فقصد فاس القرويين العامرة، حاضرة العلم، وظفر ببغيته إذ تيسر له الأخذ عن علماء أجلة، منهم حمدون بن الحاج السلمي(ت1232هـ/1817م)، وسليمان الحوتي (ت1231هـ/1816م)، والحافظ الحجّة الطيب بن كيران (ت1227هـ/1812م) وعن غيرهم، وقد ساعده على تحقيق مبتغاه ذكاؤه المفرط وإخلاصه وتجرده للعلم، وصبره على ذلك.

بعض شيوخه:

1 . محمّد العلوي قاضي فاس، وصاحب التآليف النافعة.

2 . محمّد قنون(كنون) (ت1333هـ/1915م) العالم الموسوعي، صاحب حاشية على شرح الرهوني، على خليل في الفقه المالكي، ومناهل الصفا في حلّ ألفاظ الشفا، وغيرها.

3 . محمّد بن سودة (ت): خطيب جامع الأندلس بفاس.

4 . جعفر الكتّاني (ت1323هـ/1905م)، من فقهاء المالكية المتصوفين، عالم بالتراجم كثير التصنيف، له الشرب المحتضر في رجال القرن الثالث عشر، وأحكام أهل الذمّة وغيرها.

5 . أحمد بن الحاج (ت) العالم اللغوي النحوي له حاشية على المكودي في شرح الألفية

وفاته:

ذهب الأستاذ محمد الصالح الصديق إلى أنّ الشيخ قضى إلى بارئه مسموماً، دُسّ له السم في القهوة، هو ومجموعة من الشيوخ، دعوا إلى ملتقى علمي بقسنطينة سنة 1332هـ/1914م، فمات من جرائه يوم 6 أكتوبر من تلك السنة حسب ما رواه تلميذه الشيخ إبراهيم أبو إسحاق أطفيش، ودفن بقسنطينة، وحضر جنازته جمع غفير من أعيان المدينة وعلمائها، وطلابها وأبّنه ورثاه كثير من زملائه، وتلاميذه، ومنهم الشيخ ابن باديس – رحمه الله – بخطب وقصائد شعرية، وقد تحدثت جريدة الفاروق عدد81 أكتوبر 1914م عن جنازته.

2- المنهج: المنهج عند الشيخ المجاوي:

2-1- المنهج الفني:

تقيد المجاوي بالطريق الذي رسمه له الشبراوي حيث التزم بأبواب المنظومة الخمس متقصيا كل بيت بالشرح لكل غامض من ألفاظه، ومن ثَم إعرابه إعرابا مفصلا، كذلك قام باستحضار جميع المعاني التي يمكن أن تحملها بعض الألفاظ وإن

لم يكن لهذه المعاني علاقة بعلم النحو؛ فمثلا يستحضر بعض التفسيرات القرآنية، وبعض الأحكام الفقهية وغرضه في كل هذا إحاطة المتلقي بكل ما يمكن أن يفيده في شتى الفنون العلمية. مع هذا كان للمجاوي – وبأدب جم – مندوحة في إضافة بعض المعلومات التي أغفلها الشبراوي فنجده مثلا في حديثه عن علامات الإعراب يقول: « ..... ولم يذكر مواضعها، وما ينوب عنها والأولى ذكر ذلك »[3].

ويتدارك من غير تطاول بل يحاول أنْ يجد له عذراً، ففي الموضوع نفسه – وطلبا للعذر – يقول: «... لكن تركه اختصارا، واتكالا على الموقف »[4].

2-2- المنهج العلمي:

2-2-1- المصطلح:

قبل الحديث عن استعماله للمصطلحات يجدر التنبيه إلى أن المجاوي كان بصريا في نحوه حاله حال المتأخرين من النحاة وبالأخص من اعتمد عليهم في شرحه من أمثال خالد الأزهري، ومع هذا فقد كان يمزج أحيانا بين المصطلحات البصرية والمصطلحات الكوفية فنجده مثلا يقول: «...ومن جملة ما يتميّز به الاسم الجرّ، وهو عبارة عن الكسرة أو نائبها التي تحدث عند دخول عامل الخفض.»[5]، وفي علامات الإعراب، فقال: «...فأمّا الكسرة فتكون علامة للخفض في الاسم المفرد المنصرف.»[6]. فنلاحظ أنه استعمل الجر (البصري) والخفض (الكوفي). وفي مثال آخر نجده يستعمل تارة الأسماء الخمسة وتارة الأسماء الستة فيقول: «..."فالرّفع أربعة": وهي الضّمّة والواو والألف والنّون، فأمّا الضّمّة فتكون / علامة للرّفع، في

أربعة مواضع: في الاسم المفرد، وهو ما ليس مثنىّ، ولا مجموعا، ولا واحدا من الأسماء الخمسة نحو: "جاء زيد"، و"الفتى"، و"هند "، و"حبلى".» القسم الثّاني من الإعراب ما يكون بالحرف، وهو في أمور ثلاثة، أحدها: الأسماء السّتة المضافة نحو: "جاء أخوك"، و"أبوك"، و"حموك"، و"فوك"، و"ذو مال"، و"هنوك" و"رأيت أباك"، و"أخاك"، و"حماك"، و"فاك"، و"ذا مال"، و"هناك"، و"مررت بأبيك"، و"أخيك" و"حميك"، و"فيك"، و"ذي مال"، و"هنيك".

2-2-2- الاستشهاد:

أ/ الاستشهاد بالقرآن الكريم:

لا يزال القرآن الكريم هو المعتمد الرئيس في الاستشهاد النحوي لأنه الأقوى في الاحتجاج، والأرسخ في الذهن حين الاستذكار؛ وهذا ما دفع المجاوي لاعتماده حيث نجده استشهد بأربع وستين آية كريمة.

ب/ الحديث الشريف:

رغم أن الشيخ المجاوي ساق الكثير من الأحاديث في شرحه إلا أنه لم يستشهد إلا بحديث واحد ليبرهن به على جواز أن يكون صاحب الحال نكرة ألا وهو: «.....وصلى وراءه رجال قياما» وهو بهذا يتأسى بمن سبقه من النحاة في الاستشهاد بالحديث الشريف؛ لعلّة روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالمعنى.

ج/ الشعر العربي:

كان الشعر العربي حاضرا بقوة – 84 بيتا – في شرح الشيخ المجاوي، وقد كان متنوعا بين شواهد لغوية يصلح الاحتجاج بها لتأصيل القواعد، ومنظومات وأراجيز لغوية لتقريب وتأكيد المعنى، وأشعار تحسيسية ووعظية لتحفيز الطلاب. ولم يعْز الشيخ – رحمه الله – بعض هذه الشواهد لقائليها – على الرغم من أنّ معظمهم ليس مجهولا– وهو المعروف بالتدقيق في السند، فقد ألّف – قبل هذا الشرح كما رأينا– كتابه: "كشف اللثام عن شواهد قطر ابن هشام"، يشرح فيه شواهد قطر ابن هشام، ولعّله اتكل على هذا؛ إذ معظم هذه الشواهد هي من شواهد ابن هشام، في قطره وفي غيرها، من كتبه الكثيرة وربّما لضيق الوقت وكثرة الانشغال كما صرّح هو بذلك في خاتمة كتابه[7].

د/ الحكم والأمثال السائرة:

لم يعتمد الشيخ المجاوي على المثل والحكمة حاله حال سابقيه من النحاة؛ ولعل السبب في هذا اعتمادهم على التمثيل، بيد أنه ذكر مثلا واحدا في معرض حديثه عن الكلام فقال: « ويقال في المثل: قال الجدار للوتد لم تشقني، قال: سل من يدقني؟»

2-2-3 التمثيل:

التمثيل أسهل طريقة لتوضيح المعلومة وترسيخها في ذهن المتلقي وعليه فقد عمد الشيخ المجاوي على التمثيل في مواضع كثيرة وبأساليب شتى حيث أورد 370 مثالا، تفنن في إيرادها معتمدا في البداية على ما ورد في متن المنظومة مثل: "جاء زيد" و"نيل خير" و"صيم الشهر أجمعه"، و"إنّ قومك معروفون بالجدل"، و"كأنّ الركب

مرتحل". . . الخ. وبعد هذا عمد على ما نثر في كتب اللغة السابقة مثل: "خلق الله الزرافة، يديها أطول من رجليها"، و" حسب زيد درهم"، و" لا تأكل السمك، وتشرب اللبن"، و" استوى الماء والخشبة" . . . الخ. وأخيرا ومن نسج أفكاره أورد أمثلة إصلاحية هادفة مثل: "ليت لي مالا فأنفقه في سبيل الله " و"لعلّ الله راحم عبده" و"تعلمت الحساب".

2-2-4 التعليل:

اعتمد الشيخ المجاوي التعليل كمبدئ لإقناع الطلاب وترسيخ القاعدة في أذهانهم ولذا نجده يسرد بعض التعليلات مثل قوله في إعراب الأسماء: «...فإعراب الأسماء ثلاثة: الرفع والنصب والجرّ وكلّ واحد منها علامة على معنى، فالرفع علامة الفاعلية، والنصب علامة المفعولية والجرّ علامة الإضافة....وإعراب الفعل ثلاثة: الرفع والنصب والجزم واختصّ الاسم بالجرّ لخفته وثقل الجرّ، والفعل بالجزم لثقله وخفة الجزم.»[8]، وفي الموضوع نفسه قال: « السبب في كون الفاعل مرفوعا، والمفعول منصوبا، هو أنّ الفاعل واحد، والمفعول منصوبا متعدد.....»[9]. وقال في الفاعل أيضا: وقال في الفاعل: « ثمّ إنّ الفاعل كالجزء من الفعل، فلذلك سكنوا آخر الفعل الماضي إذا اتصل به ضمير رفع متحرك، لئلا يجتمع أربع متحركات.»[10].

2-2-5 عرض الأقوال وشرحها:

لم يكتف الشيخ المجاوي بأن أصبغ كل قواعده بالشرح والتمثيل والتعليل بل تعداها إلى ما يذكر من أقوال وأمثال وأشعار. وهو يتكلم على الكليات لا يغفل الجزئيات ويأتي بأدق التفاصيل فنجده مثلا وهو يتكلم عن الجر بالإضافة يقول: «.....مضاف إليه مجرور بالمضاف على الأصح وقيل بالإضافة وقيل بالحرف المقدّر.»[11]؛ فالرأي الأول مذهب سيبويه والثاني مذهب الأخفش، وتبعه السهيلي، وأبو حيان، والثالث مذهب الزجاج، وتبعه ابن الحاجب وابن مالك.[12]

3- النتائج المستخلصة من خلال منهج الشارح:

المتأمل في منهج الشيخ يلحظ للوهلة الأولى الثقافة الدينية الكبيرة والاطلاع الواسع والحافظة القوية وقد استهل شرحه بخطبة الشارح المقدِّمة للشرح وهو أسلوب معروف لدى العلماء القدماء وهو ما يشابه المقدمة في زمننا الحاضر.

ويتميز الشرح بقدرة المجاوي على الابتعاد بالقارئ من خلال الاستطراد في كثير من المعاني ومع هذا فهو يعود للنقطة التي انطلق منها بكل سهولة وبكل دقة، كما يعرف بتخليله الشرح اللغوي بالأقوال والمفاهيم الدينية. كما يتميز بالتوسع في الطرح، وبالإكثار من الشواهد، كما أنه كان يمازج بين الغرض التعليمي والغرض الإصلاحي.

كذلك يلحظ أن الشيخ المجاوي كان يتوسع في طرحه كثيرا ففي **البسملة** ذكر إعرابها بتفصيل جميع الأقوال مع ذكر قائليها، كما أفاض في لفظ الجلالة وهل هو عربي أو عجمي؟ كما ذكر كل معاني لفظ الجلالة. وفي كلامه عن **الرحمن**

الرحيم كتب حوالي خمسة وعشرين سطرا ذكر أقوال ثلة من العلماء وهم: ابن مالك وسيبويه والدّماميني والرّازي والقرطبيّ وعزّ الدّين بن عبد السّلام. ثم ذكر تسعة أقوال مما اشتهر من إعرابها. ورغم هذه الاستفاضة يختم بقوله: وفيما ذكرناه كفاية للمبتدئين مثلي. وطبعا هذا تواضع منه. وفي شرح (يا طالب العلم) يقول: «افتتح النّاظم – رضي الله عنه – منظومته بنداء من يطلب علم النّحو، واختار من أدوات النّداء " يا" الدّالة على البعد؛ لبعد طالب العلم في وقتنا، وعلى تقدير وجوده فطلبه له لغرض دنيويّ، والطّالب للعلم المجتهد/ في تحصيله بنيّة حسنة وحرص وذكاء ومذاكرة».

شرح الشيخ المجاوي علمي إصلاحي إذ نجده كلما وجد السياق مناسبا إلاّ وأطلق العنان لنفسه للوعظ وتوجيه الأخلاق؛ لتغييرها نحو الأحسن، ففي هذا الكتاب ساق عددا من الأحاديث النبوية الصحيحة، يحض بها طالب العلم على التواضع، وتوقير العلماء ليحصل له العلم، قال: «..... إلى أنّ المؤمن ينبغي له الخفض والتواضع، وخصوصا طالب العلم فإنّه لا ينال العزّ والشرف إلاّ بالتواضع، الذي هو خفض الجانب.....ومن جملة الكبر قلّة الحياء من المشايخ، وعدم احترامهم...»[13]، ثمّ لما تكلّم عن باب مخفوضات الأسماء، التي ختم بها الناظم منظومته، راح يسرد مجموعة من الأحاديث الصحيحة، التي تبيّن الخاتمة الحسنة للمؤمن، فالمؤمن يختم له بالسعادة الأبدية حينما يكون آخر عهده بالدنيا كلمة الشهادة: "لا إله إلاّ الله محمد رسول الله"، ثمّ يبدأ بذكر فضائل هذه الكلمة الشريفة.

الهوامش:

(1) انظر ترجمته في: تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم الحفناوي، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، لبنان، ط2(1405هـ/1985م)، (2 /456)، ومعجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1: 1971، ص 95.

(2) انظر: تعريف الخلف برجال السلف(450/2)، ومن أعلام تلمسان، مقاربة تاريخية فنية. د. محمد مرتاض. دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران. ط:2004. ص(313 –322).

(3)الدرر النحوية، قسم التحقيق: 13ظ.

(4)الدرر النحوية، قسم التحقيق: 13ظ.

(5)الدرر النحوية، قسم التحقيق: 10و.

(6)الدرر النحوية، قسم التحقيق: 14ظ.

(7) ينظر: الرسالة ص109.

(8)الدرر النحوية، قسم التحقيق:13و.

(9)الدرر النحوية، قسم التحقيق:18و.

(10)الدرر النحوية، قسم التحقيق:18ظ.

(11)الدرر النحوية، جزء التحقيق35ظ.

12 الدرر النحوية، ص117.

(13) الدرر النحوية، قسم الدراسة: 34ظ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم الحفناوي، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، لبنان، ط2: (1405هـ/1985م)
2. ومعجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ط1: 1971
3. من أعلام تلمسان، مقاربة تاريخية فنية. د. محمد مرتاض. دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران. ط:2004. ص(313 -322).
4. الدُّرَرُ النَّحْوِيَّةُ عَلَى المَنْظُومَةِ الشَّبْرَاوِيَّةِ "لالعبد القادر المجّاويّ (1264هـ/1848م-1332هـ/1914م) دراسة وتحقيق حسين سعدودي مذكرة لنيل شهادة الماجستير السنة الجامعية: 27-1428هـ/ 06- 2007م